استثمار اللسانيـــات
في
دراسة إشكالية الترجمة

الدكتور محمد كراكبي
جامعة ـ عنابة

الترجمة معضلة لغوية ، عسيرة التحصيل ، لا يقوى على اقتحامها إلا من كان عارفا بأصولها ، وقواعدها . ويكاد يجمع الدارسون على ضرورة حذق اللغة التي ينقل منها حتى لا يؤدي ذلك إلى تلاشي المعنى، أو إدخال الضيم على اللغة الأم ، وإلى ذلك أشار عبد السلام المسدي (1) شارحا قول الجاحظ « ... أن المترجم – الذي هو مزدوج اللسان بالضرورة – لا يتسنى له أن ينقل مادة إبلاغية من لغة إلى أخرى، إلا إذا أحكم مواضعات اللغتين غاية الإحكام فضلا عن ضرورة إحكام المحتوى الدلالي المنقول من حيث هو علم ، أو خبر ، أو استدلال » ، وإذا التقت اللغتان في اللسان الواحد « أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها »(2). فيشير إلى صراع اللغتين المكتسبتين ، وغالبا ما يؤدي ذلك الصراع إلى التمزق ، أو « إحلال الاختناق في اللغة المستقبلة من حيث هي لغة اجتماعية ، لغة ثقافة ... » (3) .

من هذا المنطلق ، يرى بعض الدارسين أن المترجم خوان Traduttore Traditore؛ لأنه « مهما طال باعه ورسخت قدمه في اللغتين والثقافتين المنقول منهما والمنقول إليهما ، فإنه لا محالة آيل إلى ابتعاد لغته عن لسانه الأصلي ... » (4) .

على الرغم من هذه العقبات اللغوية ، والفكرية فإن الترجمة يفرضها الواقع الحضاري الجديد ، فلا مناص من خوض غمارها ؛ لأنها ذات أبعاد سياسية،واجتماعية وثقافية .. وغيرها .

يتجه الفكر اللساني العربي الحديث إلى الاهتمام بها ، واعتمادهـــا فـــي شـــتى المجالات؛ لأنها تعمل على إنماء اللغة العربية ابتغاء مواكبة التجديد الفكري الحضـــاري، فتتسع مفرداتها ، وتراكيبها وتستفيد من المخترع العلمي المتجدد (5) .

لعل أهم المسائل التي أثارتها الترجمة ما اتصل بالجانبين : المنهجي ، والعلمي ، وأكثرها استشكالا :

- الطرق المنهجية المتبعة في الترجمة ، أو كيف نترجم ؟
- المدونة اللغوية المراد ترجمتها ، أو ماذا نترجـــــــــــــم ؟
- الغاية من الترجمة ، أو لماذا نترجـــــــــــــــــــم ؟

إن معالجة هذه الأمور أمر صعب المنال في هذا المقال ؛ لأنه يوجـــب زمنـــا طويلا، وعلما وفيرا دقيقا . لهذا السبب ركزنا ، في هذه المداخلـــة ، علـــى العنـــاصر التالية :

1 - تحديد المصطلح
2 - أهمية الترجمـــة
3 - صعابهـــــــــــــا
4 - طرقهـــــــــــــا
5 - مجالهـــــــــــــا

أولا – تحديد المصطلح :

إن تحديد المصطلح أمر يوجبه التمدن ، والتقدم ، والتجدد ؛ لأن فيه سمات دلالية تخفى على القارئ العجل . فلا بد من إدراكه ، ومعرفة منزلته اللغوية ، والدلالية ، والسياقية لتتبين المفاهيم ، وتتميز الحقائق ، وتتجلى الحدود المعرفية المحصلة. وأهم المصطلحات التي وقفنا عليها :الترجمة ، والتعريب ، والتوليد . وهي تمثل بؤرة الفكر اللساني العربي الحديث ، وكلها تعكس منحيي التأثير ،والتأثر المتبادلين بين اللغات (6).

تبرز الدلالة المعجمية لمصطلح (الترجمة) ، في المعجم العربي القديم معنيي: التفسير، والنقل. وللفعل المشتق خياران لغويات : الأول يجوز لمنجز الكلام استعماله متعديا بنفسه ، فيقال (ترجم الكلام) ، والثاني يبيح له أن يجيء به متعديا بوساطة حرف ، فيقال (ترجم عن الكلام) . والمهتم بهذا الصنيع تَرجُمان ، وتُرجُمان ، وجمع ما يترجم تراجم (7) .

وهي ، من منظار لغوي عربي حديث « اللفظ العربي المتخير لمعنى من المعاني الجديدة الوارد إلينا » (8) . وترادف عند فاطمة محجوب مصطلح (النقل) ، فتقول: « فالترجمة ، أو النقل من لغة إلى لغة ، تتطلب الإلمام بكل مقومات اللغتين ، من أصوات وتراكيب ومعان ومصطلحات ... » (9) . وجاءت عند سليمان البستاني بمعنى التعريب قال : «وللترجمة في النقل طريقان : أحدهما لفظة عربية مفردة ترادف مفردة في الأجنبية، والثاني في التعريب : .... أن يأتي الجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها » (10) .

ويعني التعريب عموما « نقل الكلمة من اللغة الأعجمية إلى اللغة العربية » (11)، وهو ، عند العرب القدامى ، « ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها » (12) ، نحو إبريسم ، ونرجس ، وسفرجل .

وما يلفت الانتباه أن علماء العرب القدامى أطلقوا مصطلح (المعرب) أو (المعرّب) على الألفاظ المستعملة زمن الاحتجاج اللغوي .

ويدرج إبراهيم اليازجي مصطلح (التوليد بالاشتقاق) في معنى (التعريب)، فقال: « أكثر ما يقع في أسماء الأجناس ؛ لأنها موضع التفاوت بين اللغات ، على الغالب وإليها ترجع تسمية كل محدث من المخترعات والمكتشفات على اختلاف ضروبها..» (13).

و(المولد) ، عند اللغويين العرب القدامى ، « ... ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم »(14) ، وقد رفض استعماله، وعُدَّ خارجَ حرم الفصاحة ، حتى ولو جرى على ألسنة الكتاب والشعراء (15)، وعرف - حديثا - بأنه « لفظ عربي الأصل أعطي مدلولا جديدا عن طريق الاشتقاق ، أو المجاز ، أو نقل الدلالة، ولم يعرفه الفصحاء بهذا المعنى، وقد أضاف بعضهم ما عرب بعد عصر الاحتجاج إلى المولد »(16). وأما الألفاظ العامية ، أو المحرفة ، والدارجة فقد أخرجت من الألفاظ المولدة ، ورفض استعمالها (17).

وقد اتفق اللغويون قديما وحديثا على أن (المولد) ما نقل إلى اللغة بعد عصر الاحتجاج، واختلفوا في استعماله . فالقدامى لم يرتضوا به؛ لأنه خرج عن حدود الفصاحة والمحدثون قبلوا به ؛ لأنه سمة من سمات التطور اللغوي (18) .

ويقسم الدارسون (المولد) تقسيمات عدة ، أهمها (19) :

- مولد لم يعرفه العرب الفصحاء .
- مولد بالاشتقاق .
- مولد محرف تحريفا صوتيا ، أو دلاليا .
- مولد لا وجود له في العربية ، ولا في اللغات الأجنبية .

وسمح باستعمال النوعين : الأول ،والثاني ، ويمتد ، في استعمال النوعين : الثالث ،والرابع ، على قرار المجمع اللغوي .

أما (الدخيل) ، فأعم من المعرب ، ويتعلق بكل ما دخل اللغة العربية ، وسواء أكان ذلك في عصر الاحتجاج ، أم بعده (20) .

فبيّن ، مما سبق ، أن الترجمة ، والتعريب، والدخيل معطيات لغوية، وفكرية، فرضها الصراع الحضاري ، والنشاط العلمي ، والتنوع الاجتماعي .

ثانيا – أهمية الترجمة :

تعدّ الترجمة أهم مجالات التبادل الفكري بين اللغات ؛ لأنها حدث لغوي ينشئ تواصلا بين حضارات عدة . فمن ثم تكتسي أهمية لغوية ، وفكرية ، وحضارية .

فالمنحى اللغوي يكمن في الوقوف على الأنماط البنوية للغة المنقول منها . فإذا ترجمنا مثلا ، عبارة (محمد ذهب) ، أو (هذا الكتاب) ، أو (علي المجتهد) ،أو (تعب كلها الحياة) إلى لغة أخرى ، أدركنا ، في المثال الأول ، التنوع الجملي ، والفروق الدلالية ، وفي المثالين : الثاني ، والثالث ، تمام المعنى ، أو نقصانه ، وفي المثال الرابع ، النمط النحوي غير الاعتيادي الموظف توظيفا خاصا . فهذه خيارات لغوية ينبغي للمترجم أن يعيها ليقف على الخصائص اللغوية ،والدلالية .

والمنحى الفكري يتعلق بـ « تعزيز الفكر العلمي، وتعريف قراء العربية على النماء ،وتقبل مسترفدات الغرب ، فلا تبقى بعيدة عن ركب الحضارة والمدنية المتجددة... » (21) .

وأما المنحى الحضاري ، فيتوصل إليه بالولوج في أعماق النص المراد ترجمته، فمترجم الأمثلة التالية :

1 – قال أرسطو : « ويبدو أن الشعر نشأ عن سببين كلاهما طبيعي، فالمحاكاة غريزة في الإنسان تظهر فيه منذ الطفولة ... وسبب آخر هو أن التعلم لذيذ لا للفلاسفة وحدهم بل وأيضا لسائر الناس ... » (22) .

2 – رأى الحكيم الهندي أن الاختيار بين الخير والشر سهل ، وبين الخير والخير صعب .

3 – زرت هرمى خفرع (*) ، ومنقرع (**) .

4 – قال الرسول (ص) « اللهم بلغت » (23) .

يلحظ أنها حالمة لمعنين : قريب ، وبعيد . فالقريب متمثل في المحتوى الدلالي الذي تبرزه العلامة اللغوية ، والبعيد متأت من الترميز الذي يتجاوز حدود الدال . فألفاظ (أسطو) ، و(الحكيم الهندي) ، و(خفرع ، ومنقرع) ، و(الرسول) إشارات دلالية تحيل القارئ إلى الحضارات الإنسانية : اليونانية ، والهندية ، والفرعونية، والإسلامية.

ثالثا – صعاب الترجمة :

على الرغم من هذا المنحى الإيجابي للترجمة ، فإن الدارس يواجه ، في ممارستها، صعابا متنوعة ، تتعلق بالجانبين : القومي ، واللغوي .

أما القومي ، فيرجع إلى الصراع القائم بين فريق محافظ لم يسمح بالانفتاح ؛ لأنه « يرى في العربية لغة الكمال »(24) ، وفريق يرى في العربية الهرم والشيخوخة، فجهر بعجزها (25).

وانتقد بعض الدارسين مفهوم الاكتمال الذي دعا إليه المحافظون ، لـ « أن لغة قوم ، مهما بلغت من الكمال ، وتناهت في الاتساع، تصل إلى حد تصلح فيه لأن تستعمل في كل عصر ؛ لأن ذلك الكمال إنما يكون بالقياس إلى زمن مخصوص ، ومبلغ من الحضارة لا يتعداه »(26) .

وأما اللغوي ، فيتعلق بإيجاد المتعادلات الصوتية ، والصرفية ، والتركيبية ... وغيرها في اللغتين ، « ولا يتأتى للمترجم أن يقع بسهولة على تلك المتعادلات إلا إذا كان ملما إلماما تاما بهذه المقومات لكل من اللغتين » (27) .

ويحسن بنا أن نبرز بعض صعاب الترجمة على المستويات المذكورة :

أ – المستوى الصوتي (28) :

تبين الدراسة المقارنة ، في علم الأصوات ، أن بعض الفونيمات (***) les phonèmes في لغة ما لا توجد في لغة أخرى. فمن ذلك أصوات : الحاء ، والخاء ، والعين ، والهمزة التي لا توجد في النظام الصوتي للغة الإنجليزية . فلا بد من مراعاة هذا التعادل الصوتي لتكون الترجمة بينة لقارئ الإنجليزية .

ب – المستوى الصرفي أو المورفولوجي la morphologie (29) :

يجب فهم النظام الصرفي للغتين ، ومعرفة الأبواب الصرفية التي قد تمثل حضورا في لغة ما، وغيابا في أخرى . من ذلك الممنوع من الصرف كقولنا (مررت بعمرَ) . فهذه الظاهرة الصرفية مفقودة ، مثلا ، في النظام الصرفي للغة الإنجليزية . فيجب التنبه للفروق الصرفية التي تعمل على تمييز الأبواب الصرفية بعضها من بعض.

ج – المستوى التركيبي (30) :

تختلف الأنماط البنوية من لغة إلى أخرى . فالنظام النحوي العام للجملة الخبرية المثبتة المتضمنة فاعلا ، ومفعولا في اللغة الإنجليزية يتألف من :

مسند إليه + مسند + المتمم (المفعول)

بيد أن النظام النحوي العربي يسمح بتغيير التركيب فيتقدم الفاعل على المفعول، أو المفعول على الفاعل، كقولنا ضرب زيد محمدًا ، أو محمدًا ضرب زيدٌ ؛ فالضرب حاصل من زيد في المثالين ، أما إذا بدلنا مواقع الاسمين في الجملة الإنجليزية ، فقلنا :

The man hit the dog أو The dog hit the man

فالعض حاصل ، في الجملة الأولى ، من الكلب ، وفي الجملة الثانية ، من الرجل . فيجب الإلمام بالفروق النحوية التي تنشأ من تقديم بعض الكلم على بعض، أو من تنوع ضروب الكلام ... وغيرها .

رابعا – طرق الترجمة :

وضع بعض اللغويون العرب طرقا عدة للترجمة ، ويمكن توزيعها على المجالات التالية :

1 – المجال الصوتي : منه :

– تهذيب حروف المد في اللفظ ، وحركاته لينسجم مع اللفظ العربي (31) ، من ذلك مقابلة اللفظ الأجنبي physique بـ (فيزياء) العربي .

- قلب بعض الحروف للتخفيف ، فيقال (أغستين) بدل (أغسطين) أي قلب الثاء تاء .
- إبراز الحروف التي لا مقابل لها. فلا يوجد في اليونانية طاء ، وقاف ،وصاد ،ودال، ولا في العربية (p) ،و (u) .
- زيادة حرف العين في أوائل بعض الأسماء ، فيقال في (أسقلان) (عسقلان) .
- زيادة حرف الهاء في الأسماء المصدرة بحرف علة ثقيل ، فيقال (هوميروس) بدل من (ميروس) .

2 - المجال التركيبي :

يجب فهم البنية التركيبية للغة المنقول منها ، وإدراك مختلف الرؤى اللغوية في تقسيم الجمل من اسمية ، وفعلية ، وشرطية ... وغيرها .

فإذا اهتممنا بهذه الخصائص اللغوية استطعنا أن نحقق تعادلا دلاليا بين اللغات.

خامسا - مجال الترجمة (32) :

قد تكون المدونة اللغوية المراد ترجمتها مفردات ، أو تراكيب . فالمفردات ، إذا كانت أسماء جواهر، مثل : الأوكسجين ، والفوسفور ، والكربون ، والبترول ... وغيرها يحسن ، عند بعض الدارسين ، أن تنقل محكية بلفظها ؛ لأن منها مالم يستعمل في معنى آخر ، ومنها ما كان مجهول الأصل كـ (الشمبنزي) ، ومنها ما كان منقولا من معنى سابق ، فإذا أتينا بمرادفاتها ، لم يفهم المعنى المقصود ؛ فمن ذلك (الفوسفور)، فهو مركب من كلمتين معنى مجموعهما (حامل النور) . وهذا اللفظ ، إذا استعملناه ، يصدق على كل المعادن المضيئة . فيجب استعمال هذه الألفاظ كما هي لئلا تذهب دلالاتها الأصلية. فاستعمال (التلفون)، كما يرى بعض الدارسين ، أفضل من (الهاتف)؛ لأن لفظ (الهاتف) عند العرب القدامى ، كائن خرافي ، أو عفريت من الجن ، وهذا من شأنه أن يوقع اللبس بين استلهام المعنى القديم للمعنى الحديث .

أما ما عدا هذه الأسماء ، فيمكن الإتيان بمرادفاتها ، فيقال مثلا :

الأربة	للفظ الأجنبي	Cravate
البهو	للفظ الأجنبي	Salon
الجناج	للفظ الأجنبي	Balcon
الستارة	للفظ الأجنبي	Ecran
دوائي	للفظ الأجنبي	Pharmacien
ظلة	للفظ الأجنبي	Parasol
المسايفة	للفظ الأجنبي	Escrime
الفقه	للفظ الأجنبي	Droit

وأما التركيب ، ففي نقلها أشكال كثيرة ، منها :

1 – المسند إليه + المضاف إليه

مثل : – لعب الإشارة في المقابل البانتوميم

– مواضع الفرح في مقابل المسارح

– مركب النار في مقابل الباخرة

2 – المسند إليه + الصفة :

– المرايا المكبرة في مقابل التلسكوب

3 – التعادل اللفظي بين الجملتين الأجنبية ،والعربية : مثل :

– الأرياف الكهربائية في مقابل التيار الكهربائي

– قمر العسل في مقابل شهر العسل

– آلة النار في مقابل آلة البخار

نستنتج، مما سبق ، أن الترجمة صنيع لغوي ، عظيم الفائدة . ويزداد حسنا ، وقيمة ، وعمقا ، إذا احكمت فيه مواضعات اللغات ، وقد حاول بعض اللغويين العرب المحدثين تبيين استشكالاته ، وصعابه ، طرقه ، ومجالاته. بيد أنهم اختلفوا في تحديد مصطلح الترجمة وفي المصطلحات التي تنتمي إلى حقلها الدلالي ، كما أنهم

لم يتفقوا على الإقدام على عمل الترجمة ، فمنهم من رفض ، وهو رأي لا يعتـــد بـــه ، ومنهم من بالغ في الأخذ بها ، وفيه تجن على اللغة الأم . والحق أن الترجمة لا تكـــون إلا إذا كان المقام محوجا إليها ؛ لأن الفكر بها ينمو ، ويتجدد ، ويســـتفيد مـــن المدنيـــة الحديثة .

الهوامـــــــــــــش :

1 – د/ عبد السلام المسدي ، التفكير اللساني في الحضارة العربيـــة ، الـــدار العربيـــة للكتاب ، ليبيا – تونس ، 1981م ، ص 233 .

2 – الجاحظ (أبو عمرو بن بحر 150 هـــ – 255 هـــ) ،البيان والتبيين، تحقيق عبـــد السلام محمد هارون ط 3 ، القاهرة بيروت الكويت 1968 م، ج 1 ص 368 .

3 – رولان بارط ، لذة النص ، ترجمة فؤاد والحسين سبحان ، دار توبقـــال للنشـــر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 1988م ، ص 5 .

4 – جورج مونان ، مفاتيح الألسنية ، تعريب الطيب البكوش ، منشورات الجديد، تونس 1981م ، ص 9.

5 – د/ رياض قاسم ، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي (1)، مؤسســـة نوفل بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1982م ، ص 153 .

6 – د/ علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ، الطبعة السابعة 1945م ، ص 249 .

7 – ابن منظور (630 هـــ – 711 هـــ) ، لسان العرب ، تحقيق علي شـــيري، دار إحياء

التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعـــة الثانيـــة 1992م،مادة (ر ج م) .

8 – د/ رياض قاسم ، اتجاهات البحث اللغوي الحديث فـــي العـــالم العربـــي (1)، ص 153.

9 – د/ فاطمة محجوب ، دراسات في علم اللغـــة ، دار النهضـــة العربيـــة، القـــاهرة 1976م،ص 1 .

10 – مقدمة الإلياذة ، ص 75 ، نقلا عن د/ رياض قاسم ، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي (2) ، ص 152 .

11 – د/ توفيق محمد شاهين ، عوامل تنمية اللغة العربية ، مكتبـــة وهبـــة ، القـــاهرة، الطبعة الأولى 1980م ، ص 133 .

12 – السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين 911 هـــ) ، المزهـــر فـــي علـــوم اللغـــة وأنواعها، دار إحياء الكتاب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشـــركاه (د.ت) ، ج 1 ص 268 .

13 – الضياء ، ج 15 ، أوغسطس 1900م ، ص 705 ، نقلا عن د/ ريـــاض قاســـم، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي (1) ، ص 183 .

14 – السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج 1 ص 304 .

15 – د/ رياض قاسم ، اتجاهات البحث اللغوي الحديـــث فـــي العـــالم العربـــي (1)، ص171.

16 – د/ حلمي خليل ، المولد ، دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، 1980 م، ص 219 .

17 – المرجع نفسه ، ص 218 .

18 المرجع نفسه ، ص 220 .

19 – د/ علي عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ،الفجالة ، القاهرة ، 1945م ، ص 203 .

20 – الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد 465 هـــ – 540 هـــ) ، المعرب مـــن الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق د/ ف. عبد الرحيم ، دار القلم ، دمشق ،الطبعة الأولى ، 1990 م.

21 – د/ رياض قاسم ، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربـــــي (1) ، ص 170 .

22 – فن الشعر ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة بيروت ، لبنان 1952م .

* – SHEPHREN فرعون مصر ، بنى الهرم الثاني في الجيزة .

** – ويسمى منكاورع MYKERINOS ، بنى الهرم الثالث في الجيزة .

23 – انظر التعليق على هذه العبارة ، عباس محمود العقاد ، عبقرية محمد ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت (د.ت) ، ص 71 .

24 – د/ رياض قاسم ، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربـــــي (1) ، ص 156 .

25 – المرجع نفسه ، ص 156 .

26 – إبراهيم اليازجي ، من مقال (اللغة والعصر) ، مجلة البيان 1887م ، نقلا عنـد/ رياض قاسم ، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي (1) ، ص 157.

27 – د/ فاطمة محجوب ، دراسات في علم اللغة ، ص 1 .

28 – المرجع نفسه ، ص 1 وتواليها .

*** – ترجمه د/ عبد السلام المسدي بـــ (صوتم) ، وهو أصغر وحدة صوتية ، إذا استبدلت بأخرى تغير المعنى ، مثـــل : (ســـار) و(صـــار) ، انظـــر قـــاموس اللسانيات،حرف الصاد ، ص 131 ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس 1984م .

29 – د/ فاطمة محجوب ، دراسات في علم اللغة ، ص 5 .

30 – المرجع نفسه ، ص . ن .

31 – د/ رياض قاسم ، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربـــــي (2) ، ص 157 .

32 – المرجع نفسه ، رقم (1) ، ص 171، وتواليها .